الفصل الأول

مـقـدمة

أهمية الأسرة فى المجتمع

أشكال الأسرة

التطبيع الاجتماعى

أدوار الأسرة الحديثة

مقومات الأسرة

١- المقومات الاقتصادية

٢- المقومات الصحية

٣- المقومات الاجتماعية

٤- المقومات النفسية

٥- المقومات الدينية

مقدمة

لا يعيش الفرد منعزلًا عن غيره من الناس، فالحياة خبرة مشتركة تقوم على المشاركة والتعاون. وخلال سنوات الحياة الأولى تجرى تقريبًا أغلب عمليات المشاركة بين أعضاء الأسرة، فالأسرة هى الوحدة الأساسية للنمو والخبرة، وهى كذلك الوحدة الأساسية للصحة والمرض أو النجاح والفشل.

والأسرة كنظام اجتماعى قديم يتحول عبر الزمن نتيجة عملية مستمرة للتغير، وتقوم الأسرة بتعديل شكلها حتى تتلاءم مع ظروف الحياة التى تسود فى زمن ومكان معينين، ونلاحظ أن الأسرة فى المجتمع الحديث تغير من نمطها بسرعة كبيرة نسبيًّا وتتكيف بطريقة مذهلة مع الأزمات الاجتماعية التى يتميز بها التاريخ المعاصر ؟ وبالنسبة للأسرة لا يوجد شىء ثابت لا يتغير فيما عدا أنها معنا بصورة مستمرة، ونحن نتقبل دور الأسرة فى حياتنا كمسألة طبيعية مسلم بها فمن ناحية كان يتحتم على الإنسان أن ينمو خلال حياته فى الأسرة ويألفها لآلاف السنين، ومن ناحية أخرى كان يتحتم على كل جيل أن يتعلم بدوره من جديد كيف يعيش فى الأسرة، ولا تشير الأسرة دائمًا إلى الأب والأم والأطفال فقط بل هى تمثل أحيانًا مجموعة مركبة يطلق عليها الأهل وتقوم هذه الجماعة الكبرى بوظيفتها كوحدة، وتتألف من كل الأعضاء الذين يعيشون تحت سقف واحد أو يخضعون لسلطة رئيس واحد، أى أنهم جماعة من الأشخاص يلتفون حول هدف واحد هو إيجاد مجموعة من القواعد الاجتماعية الفعالة.

ومن ثمة فإن الروابط الأسرية تنشأ نتيجة تضافر عدد من العوامل البيولوجية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية، وهى الوحدة الأساسية للمجتمع التى تؤدى إلى اتحاد الذكر والأنثى لإنجاب النسل والسهر على تربية الأطفال وإعدادهم لتحمل مسئوليتهم الاجتماعية، وعادة تلعب العلاقات بين الذكر والأنثى والعادات الجنسية دورًا أقل بالنسبة لدورهما فى رعاية الصغار.

ومن ثمة فإن الأسرة فى كافة الظروف وليدة التغير الاجتماعى، وهى وحدة تتميز بالمرونة والقدرة على التكيف للمؤثرات التى تأتيها من الخارج أو الداخل.

وبالنسبة للعلاقات الخارجية ينبغى أن تتكيف الأسرة للتقاليد والعادات السائدة، وينبغى أن تعقد علاقات عملية مع البيئة الخارجية وما تضمه من قوى اجتماعية واقتصادية، كما ينبغى أن تخضع الأسرة للروابط البيولوجية الأساسية بين الرجل والمرأة وبين الأم والطفل.

وتقوم الأسرة بصفة عامة بعمليتين أساسيتين: الأولى: ضمان البقاء الجسمى والثانية: بناء الخصائص الإنسانية التى تميز الإنسان. ويعتبر إشباع الحاجات البيولوجية الأساسية من الأمور الحيوية لاستمرار البقاء، غير أن مجرد إشباع هذه الحاجات لا يوفر الخصائص الإنسانية المتكاملة. فخبرات الأسرة التى تحقق الشعور بالانتماء هى التى تمثل قمة النمو لتلك الخصائص الإنسانية.

والواقع أننا إذا تعمقنا فى دراسة جميع المشكلات الاجتماعية يمكن أن ننسبها جميعًا إلى المواقف الأسرية، وهكذا لا يمكن مواجهة المشكلات التى يعانيها المجتمع دون التصدى لعلاج المشكلات التى تعانيها الأسرة.

أولًا : أهمية الأسرة فى المجتمع

تعتبر الأسرة هى النظام الإنسانى الأول، ومن وظائفها الأساسية استمرار النوع والمحافظة عليه واتباع النظم الاجتماعية المختلفة، فالنشاط الاقتصادى والنظام

الاجتماعى والتربية والدين وغير ذلك من الأنماط الخاصة للسلوك الاجتماعى كان أول ظهورها فى إطار الأسرة. ومن هذه الزاوية كانت الأسرة فى البداية تكون فى الواقع مجتمعًا صغيرًا متكاملًا أكثر من أن تكون نظامًا يشمل عددًا من الوظائف الخاصة كما نلاحظ فى المجتمعات الحديثة المعقدة، ولقد تضمن تطور الأسرة تحولها من مجتمع صغير يتوفر له كل مقومات الاكتفاء الذاتى إلى وحدة ذات تخصص وظيفى أو نظام فى داخل مجتمع يتسع تدريجيًا.

والأسرة كجماعة من الأفراد يتفاعلون مع بعضهم البعض تعتبر الهيئة الأساسية التى تقوم بعملية التطبيع الاجتماعى للجيل الجديد، أى أنها تنقل إلى الطفل خلال مراحل نموه جوهر الثقافة لمجتمع معين؛ إذ يقوم الأبوان ومن يمثلهما بغرس العادات والتقاليد والمهارات والقيم الأخلاقية فى نفس الطفل وكلها ضرورية لمساعدة العضو الجديد فى القيام بدوره الاجتماعى والمساهمة فى حياة المجتمع.

غير أن الأسرة تعتبر أكبر من كونها مجرد وسيلة لتجديد النسل وتربية الأبناء وإعدادهم للقيام بدورهم فى الحياة الاجتماعية، فالأسرة كجماعة وظيفية تزود أعضاءها بكثير من الإشباعات الأساسية من بينها توفير مسالك الحب بين الزوجين وبين الآباء والأبناء. وكذلك الحب بين الأطفال أنفسهم مثل هذه المشاعر الودية تعتبر ذات أهمية كبرى فى النمو الانفعالى للفرد، كما توفر الأسرة للطفل عادة شعورًا بالأمن الاقتصادى ومع ذلك هناك بعض المواقف فى حياة الأسرة تسود فيها المنافسة بل حتى تحت الضغوط القاسية قد تسود فيها أنواع من الصراعات الحادة.

والخلافات بين الأشخاص من الأمور الطبيعية فى حياة الجماعة ولا بد أن نتوقعها كما نتوقع مظاهر التعاون والمساعدات المتبادلة، فقد يختلف الزوجان على طرق قضاء وقت الفراغ والترويح أو بالنسبة لاختيار الأصدقاء أو حول طريقة الإنفاق أو أسلوب تربية الأطفال وغير ذلك من أمور الحياة، وقد يقع الآباء فى مشكلات حادة مع الأبناء المراهقين حول اختيار الأصدقاء أو السهر خارج المنزل وما شابه ذلك من موضوعات متعددة.

كما قد تتسم العلاقات بين الإخوة والأخوات بالصراع والغيرة وهى من المظاهر التى تبدو وبصورة أو بأخرى فى كافة الأسر بصفة عامة. وعمومًا فإن الأسرة هى صورة التجمع الإنسانى الأول، وهى جماعة أولية بمعنى أنها أساس الإنجاب والتطبيع الاجتماعى للجيل التالى، وهى كذلك الأصل الأول لعادات التعاون والتنافس التى ترتبط بإشباع الحاجات إلى الحب والأمن والمركز الاجتماعى.

أشكال الأسرة :

تختلف أشكال الأسرة باختلاف المجتمعات، ويظهر الاختلاف هنا فى ناحيتين أساسيتين:

١) **نطاق الأسرة**: كان واسعًا كل السعة فى العشائر البدائية فكانت الأسرة تشمل جميع الأفراد المنتمين إلى عشيرة واحدة، فاشتراك الأفراد فى عشيرة يجعلهم أسرة واحدة ويربط بعضهم ببعض برابطة قرابة شديدة الدرجة، ثم أخذ نطاق الأسرة يضيق شيئًا فشيئًا حتى وصل إلى الحد الذى استقر عليه الآن فى معظم الأمم، فأصبحت لا تشمل إلا الزوج وزوجته وأولادهما، غير أنه لا تزال شعوب كثيرة محتفظة إلى الوقت الحاضر بنظام الأسرة فى نطاقها الواسع، فلا يزال الفرد فى بعض هذه المجتمعات ينتمى إلى أقارب الزوج أو أقارب الزوجة إلى جوانب انتمائه إلى أسرته الخاصة التى تتألف من زوجته وأولاده.

أ - النظام الأمومى (الأمى)

هو الذى يعتمد القرابة فيه على الأم وحدها فالولد يلتحق بأمه وأسرة أمه. فقد كانت المجتمعات البدائية تنتشر فيها الشيوعية الجنسية، وهى مرحلة لم يكن للنساء فيها أزواج ولم يكن الزواج إذ ذاك معروفًا بالمعنى المفهوم بل كان الرجل يجتمع بالمرأة ثم يتركها إلى نساء أخريات، ولما كانت المرأة تجهل الزوج الذى حملت منه لذا نسب الولد إلى أمه وعرف بها وأحيانًا كان الرجل ينال المرأة بغير عقد كما كان يشترك عدد من الرجال فى امرأة واحدة وهذه المرحلة مرت بها جميع الشعوب وهو ما جعل الأم محور القرابة وعماد هذا النظام.

ب- النظام الأبوى

وهو عكس النظام السابق ففيه كان الزوج يكتفى بامرأة واحدة وكان الأبناء معروفين النسب لأن الأب كان معروفًا. ولذلك نسب الابن إلى أبيه وذلك بعد تطور المجتمعات واستقرار الأسرة واتخاذها شكلًا منظمًا لقوانين وعادات وتقاليد محددة.

وأيا كانت الأشكال المتعددة للأسرة سواء من حيث نطاق اتساعها أو محور القرابة فيها، فالأسرة جماعة اجتماعية تتميز بمكان إقامة مشترك وتعاون اقتصادى ووظيفة تكاثرية ويوجد بين اثنين من أعضائها على الأقل علاقة جنسية يعترف بها المجتمع وهما الزوج والزوجة.

الأسرة فى المجتمع المعاصر :

بتطور المجتمعات وظهور الدول والهيئات والمؤسسات المتخصصة فى المجتمع التى تهتم بشئون الاقتصاد والقضاء والسياسة والإدارة والتربية والتعليم والثقافة والشئون المدنية... إلخ، فقد اهتمت هذه المؤسسات بكثير من الوظائف والأدوار التى كانت تقوم بها الأسرة فى الماضى وفى المجتمعات البدائية أو المختلفة بوجه خاص، وإن كانت الأسرة لا تزال تقوم بمعظم هذه الوظائف حتى الآن، وخاصة فى المجتمعات الزراعية والصحراوية والمتخلفة.

إلا أن من أهم الوظائف التى ما زالت الأسرة تحرص عليها ولا يمكن الاستغناء عن القيام به ما يتعلق بعمليات التربية والتنشئة الاجتماعية. فما زالت الأسرة عاملًا مهمًا من عوامل التربية وإعداد النشء للحياة، بل عليها تتوقف آثار عوامل التربية الأخرى جميعًا سواء فى ذلك العوامل غير المقصودة كالوراثة والبيئة الجغرافية واللعب والتقليد أم العوامل المقصودة كأعمال المدرسة والمعلمين.

ويظهر دور الأسرة التربوى والاجتماعى فيما يلى :

١) الأسرة هى العامل الوحيد للحضانة فى المراحل الأولى للطفولة.

٢) على المنزل يقع قسط كبير من واجب التربية الخلقية والوجدانية والدينية فى جميع مراحل الطفولة.

٣) يتكون لدى الفرد بفضل الحياة فى الأسرة الروح العائلى والعواطف الأسرية المختلفة وتنشأ الاتجاهات الأولى للحياة الاجتماعية المنظمة، ولا يتأتى للأسرة أن تقوم بهذه الوظيفة التربوية المهمة إلا بتهيئة الوسائل السليمة المتعلقة بالحضانة والكفالة للأطفال وخاصة فى مراحل نموهم الأولى. ولا تكون الأسرة ناضجة اجتماعيًّا ولا متكاملة أو سوية إلا إذا قامت بهذه الواجبات الحيوية لصغارها، فهى تعطى مأوى مريحًا وغذاء سليمًا، وهى التى تساعد أطفالها على أن ينموا نموًا صحيًا، وتغرس فيهم حب الخير والكرامة الاجتماعية، وهى التى تربى أطفالها كى يستطيعوا مواجهة قوانين السلوك العامة فى المجتمع، فى المستقبل، وكى يستجيبوا للمواقف الإنسانية المتعددة استجابة سليمة، وهى التى تدرب أطفالها على فن الحياة الجمعية فى نطاقها الضيق عندما تكون العلاقات الإنسانية ما زالت بسيطة، وأخيرًا هى التى يكون هدفها الأسمى هو فطام شبابها لا من الرضاعة ولكن من الاعتماد على الغير ومن الاعتماد على حنان الأسرة؛ حتى يستطيع شباب الأسرة أن يهيأ بالكفاح وبالعمل حتى يتهيأ لتكوين نواة أسرة جديدة.

التطبيع الاجتماعى

الأسرة هى النظام الأساسى فى المجتمع الذى يقوم بعملية التنشئة الاجتماعية أو التطبيع الاجتماعى. وفى الأسرة يحاول الآباء وغيرهم تشكيل الأطفال فى الأنماط الثقافية السائدة فى المجتمع، وكذلك المؤثرات التى تنشأ نمط العلاقات المتبادلة بين أعضاء الأسرة وعن نوع العواطف التى يعبر عنها فى أثناء التفاعل الاجتماعى فى الأسرة، وأخيرًا فإن عملية التطبيع الاجتماعى تستمر طوال الحياة ولذلك يظل تأثيرها فى الأعضاء الراشدين عن طريق الأسرة.

إن المحاولات المقصودة لتدريب الطفل تحكمها الصور التى يرسمها الآباء لما يرغبون أن يكون عليه الطفل، وهذه الصور تتأثر بدورها غالبًا بالمواقف الاجتماعية التى يعيش فيها الآباء. وفى الريف المصرى حيث ينخفض مستوى المعيشة نجد الآباء يدربون أطفالهم على تحمل المسئولية والشجاعة والاعتماد على النفس منذ نعومة أظفارهم، أما فى أنماط الحياة الحضرية بين الطبقات المتوسطة فنجد الآباء يدربون أبناءهم على التحصيل الدراسى والنشاط العقلى بصفة عامة، والتفاعل بين الطفل وأبويه يستمر طوال الحياة ويحظى الطفل بحب وتأييد من أبويه بقدر طاعته لهما وتصرفه وفق المعايير التى يحددانها له، وإلا أوقعا به اللوم والعقاب.

والطفل من جانبه كذلك يتوقع الحب والثناء والمساعدة والحماية من أبويه جزاء طاعته، ويخشى العقاب واللوم عند عصيانه وخروجه على أوامرهم وتتجلى فى الأطفال الصغار بداية عملية التطبيع الاجتماعى فى محاكاة الطفل لمعاملة أبويه فيدلل الطفل نفسه أو يعاقبها بنفس الطريقة التى يدللـه بها أبواه أو يعاقبانه بها.

وتختلف المجتمعات فى أساليب تربية الطفل، وقد يكون التدريب عن طريق توصية الأوامر والعقاب أو الثواب المباشر أو عن طريق التدريب غير المباشر وفيه يقوم الآباء بعملية الضبط عن طريق تزويد الطفل ببدائل سارة للسلوك المنتقد والالتجاء إلى الإقناع.

وتعتبر وظيفة الآباء كوسيط لعلاقات الطفل بالمؤسسات المختلفة التى تساهم فى تربية من المظاهر المهمة فى عملية التطبيع الاجتماعى المقصود، فالآباء بمثابة الوسيط أو حلقة الاتصال بين الطفل والمجتمعات المختلفة التى يختارونها له فهم يلحقونه بالجماعات الرسمية، ويدفعونه نحو المشاركة فى أنواع النشاط المختلفة، ويساعدونه فى تفسير ما يتعلمه من الجماعات التى ينضم إليها. ولذلك تعجز الأسر المتصدعة أغلب الحالات عن مباشرة هذه الوظيفة ويمتص الطفل تدريبه عن طريق جماعات ارتبط بها بعامل الصدفة.

والآباء الذين يشجعون الطفل على اكتساب خبرات اجتماعية عميقة من خلال اختلاطه برفاق اللعب وجماعات الأصدقاء يؤثرون فى نموه الاجتماعى تأثيرًا كبيرًا، على العكس من الآباء الذين يضعون العزلة على الطفل ويحرمونه من هذه الخبرات.

الأسرة الحديثة

تتكون الأسرة الحديثة من الزوج والزوجة والأولاد المباشرين، وتمر فى أدوار كثيرة متعاقبة، وتكتسب فى كل مرحلة منها صفات وخصائص، وتؤدى وظائف اجتماعية معينة. وسنتكلم عن هذه الأمور فى الفقرات القادمة.

(١) الأدوار التى تمر بها الأسرة

تمر الأسرة الحديثة فى المراحل الآتية :

١- **مرحلة الخطوبة:** هى الفترة التى تسبق عقد الزواج بصفة رسمية. وهى فى الواقع المرحلة التحضيرية لتوثيق العلاقات بين أسرتى الزوج والزوجة ووضع أسس الحياة الزوجية والاتفاق على المبادئ والاتجاهات العامة التى تسود هذه الحياة. وهى مرحلة مرنة وخطرة؛ لأن كثيرين لا يفهمون وظيفتها ولا يقدرون مبلغ خطرها فى وضع الخطوط الرئيسة لحياة المستقبل. ويظنون أن وظيفتها مقصورة على بلوغ الهدف الأساسى وهو عقد الزواج. ولذلك يخرج المتصاهرون عن مألوف عاداتهم ويتظاهرون بما لم يكن فى وسعهم ومقدرتهم. والملاحظ أن السلوك التقديرى يسيطر على مشاعر الأفراد فى هذه المرحلة وتقوم العلاقات على الحذر المتبادل. وقد يصل هذا الحذر إلى درجة التشكك. وهذه الأمور تسىء إلى نظام الأسرة متى تكونت بصفة رسمية لا سيما عندما تتكشف الأمور على حقيقتها ويتضح للزوجين واقع الأمر.

وتمتاز هذه المرحلة بمراسيم تقديم ما اصطلح المجتمع على تسميته "بالشبكة"،

وليس لهذه التقدمة أى اعتبار شرعى فكثيرًا ما تنفك الخطوبة ويصبح الطرفان فى حل من الارتباط المبدئى بدون أن يترتب على ذلك أية إجراءات شرعية أو مادية (وذلك بخلاف ما يتخذ بصدد المهر إذا فسخ عقد الزواج).

والملاحظ أن هذه المرحلة الإنشائية تختلف فى المجتمع الريفى عنها فى المجتمع الحضرى. ففى الريف لا تطول عادة هذه المرحلة ولا تتاح الفرصة للخطيبين أن يلتقيا ويدرسا طباعهما وعاداتها وميولهما؛ لأن التقاليد الريفية لا تتيح مثل هذه الاتصالات إلا فى أضيق الحدود وفى المناسبات الرئيسة. ولذلك فإنه من العصب تكوين رأى واضح عن مستقبل الحياة الزوجية إذ تصبح هذه الحياة رهينة المصادفات والمشيئات. فقد يسعد الخطيبان بحياة زوجية مستقرة هادئة، وقد تصبح حياتهما جحيمًا لا يطاق. أما فى المدن حيث الاستنارة واتساع الأفق الثقافى والتحرر من خشونة التقاليد وأحكام العرف، فإن معظم الأسر تتيح للخطيبين الفرص لتبادل وجهات النظر والاتفاق على المسائل المتصلة بمستقبل الحياة الأسرية؛ حتى تقوم هذه الحياة على فهم واضح وتقدير سليم بعيد عن التغرير والمظنة.

هذا، وتختلف الدوافع فى هذه المرحلة الإنشائية باختلاف الاتجاهات الفردية. فبعض الأفراد يؤثرون المال والجاه، والبعض يؤثرون الحسب والنسب، وآخرون يؤثرون الثقافة والعلم والأخلاق، ومنهم من يقنع بالمركز الاجتماعى، وآخرون يضعون الجمال وحداثة السن فى المقام الأول. وعلى العموم، الأفراد فى هذه الاعتبارات منازع ومشارب.

٢- **مرحلة التعاقد والزواج**: تبدأ بعقد الزواج بصفة رسمية وتعتبر بدء الحياة الزوجية وتنفيذ المرحلة الإنشائية. ومن ثم يعيش الزوجان معًا ويتعاشران معاشرة شرعية وقائمة على فراش صحيح. وتعتبر هذه المرحلة من الناحية الاجتماعية أدق أدوار الزواج. فهى مرحلة قلقة وذلك للاحتكاك الفعلى بين الزوجين، ولتبادل مشاعرهما وأحاسيسهما بصورة جدية بعيدة عن الافتعال والمداهنة والرياء. وتقوم

هذه المرحلة على تقرير الحقائق تقريرًا صائبًا بعيدًا عن عواطف المجاملة والخجل. وهى تمثل امتحانًا شاقًا يجتازه كل من الزوجين: فإما أنانية وأثرة تنتهى بتفكك الأسرة وهدمها، وإما إيثار وتعاون يدعمان الحياة الزوجية ويطيلان أمدها.

ولذلك تسجل الإحصاءات الرسمية ارتفاع نسبة الطلاق فى المراحل الأولى من الزواج؛ وذلك لظهور وجوه النقص التى كانت خافية فى مرحلة الخطوبة. هذا إلى أن التعامل الفعلى يحدث أمورًا لم تكن فى الحسبان، ويؤدى بسرعة مفاجئة، لا سيما فى حالات عدم ضبط النفس، إلى الفرقة والخلاف.

٣- **مرحلة الإنجاب**: هى فى الحقيقة العهد الذهبى للأسرة، عهد الاستقرار والفهم الصحيح للحياة الأسرية والإدراك المباشر لمسئولياتها؛ لأن الروابط الأسرية قد تأكدت فى نفوس الزوجين بعد إنجاب الأطفال حيث تظهر مشاعر جديدة وإحساسات كانت كامنة فى الطبيعة الإنسانية. وتتحدد الأوضاع والمصطلحات الاجتماعية المتعلقة بالأبوة والأمومة وقرابة المصاهرة والأوضاع وطبقات المحارم وما إليها من الظواهر الاجتماعية المتعلقة بقيام الأسرة. وتظهر فى هذه المرحلة المسئوليات الخطيرة المتصلة باستقبال ثمرات الزواج والعناية بهم وتوفير أكبر قسط من الرعاية الاجتماعية لهم.

ولا داعى للدخول فى التفاصيل المعروفة عن تلهف أعضاء الأسرة المصرية على إنجاب الأطفال فى الشهور الأولى، وعلى مبلغ تهافتهم على الأطباء والدجالين والمشعوذين لاستطلاع الأمر واستجلاء الحقيقة، وتشتد هذه الرغبة فى الأسرة الريفية عنها فى الأسرة الحضرية وذلك لاعتبارات خاصة بطبيعة وزيادة التنشئة وتقوم هذه الرغبة تبعًا لثقافة الزوجين وارتقاء مستوياتهما الحضارية.

والملاحظ أنه كلما تعدد الأطفال واجتازوا مراحل النمو الأولى فإن المسئوليات تزداد وتثقل. وتعانى الأسرة المصرية من ذلك عناءً بالغًا نظرًا لانخفاض الدخول الفردية والمستويات المعيشية وزيادة الالتزامات التى يتعين على رب الأسرة الوفاء

بها. ولعل هذه الاعتبارات هى التى حدت بالدولة أن تقرر طائفة من التشريعات التى حققت قدرًا من الرعاية الاجتماعية، وخففت بعض العبء الذى يثقل كاهل الأسر المتواضعة مثل مجانية التعليم فى كل مراحله، ومجانية العلاج فى المستشفيات العامة وتقرير مساعدات مؤقتة وتأمينية وفتح دور رعاية الطفولة والأمومة والملاجئ وما إليها. هذا إلى رسم مخططات الإصلاح الاجتماعى العام للنهوض بالمستوى المعيشى وزيادة الدخل القومى.

وفى هذه المرحلة تواجه الأسرة كثيرًا من المشكلات الداخلية والخارجية. الأولى مثل مشكلات السكن والخدم والحموات وشئون الميزانية، والثانية مثل إلحاق الأولاد بالمدارس والمواصلات وشئون العلاج وما إليها.

٤- **مرحلة السكون والاستقرار**: هى العصر الفضى من حياة الأسرة. وفيها يكبر الأولاد ويصبحون عناصر منتجة ويستطيعون الاعتماد على أنفسهم. كأن يصبح الولد موظفًا أو عاملًا أو تاجرًا أو قائمًا بأى عمل يغنيه، وكأن تصير البنت زوجة أو تشغل عملًا شأنها شأن الرجل. وفى هذه الحالة يتحرر الوالدان من الأعباء الثقيلة والهموم البالغة التى طالما أثقلت كاهلهما؛ فيخلدان إلى الراحة والاطمئنان ويشعران بالسعادة نحو غرسيهما، وينتظران البر والتكريم فى شيخوختيهما. غير أن كثيرًا من الأسر لا تخلو من مظاهر العقوق فيقاسى الأبوان من حالات القطيعة والعوز ما يثير الغضب والنقمة على ناكرى الجميل. وقد حفظت الشرائح والقوانين الوضعية والتشريعات الاجتماعية للوالدين حق الرعاية فى كبرهما، ونصت فى دستورها الأسرى على ما ينبغى اتخاذه حيالهما إذ لجأ إلى القانون.

مقومات الأسرة

تعتمد الأسرة فى حياتها على عدد من المقومات الأساسية حتى تتمكن من القيام بوظيفتها كمؤسسة اجتماعية، ونلاحظ أن نجاح الأسرة وتوافقها الاجتماعى يتوقف على تكامل هذه المقومات . فالأسرة مثلا تحتاج إلى دخل اقتصادى ملائم يسمح لها بإشباع حاجاتها الأساسية من مسكن ومأكل وملبس، كما تحتاج إلى سلامة أعضائها الجسمية أو تدبير ما يلزمهم من خدمات صحية، كما تحتاج إلى صحة نفسية تساعدها على مواجهة أزمات الحياة والتفاعل الإيجابى مع المواقف المختلفة، وهى تحتاج إلى علاقات اجتماعية سليمة تحقق لها القدرة على تخطى العقبات التى تحول بين إقامة التعاون والود محل الصراع والتوتر، وهى فوق كل ذلك تحتاج إلى مجموعة من القيم الدينية التى تزكى التضحية والإيثار وتدعو إلى التمسك بالأخلاق عند التعامل بين أعضاء الأسرة وفى علاقة الأسرة مع الجماعات الأخرى.

(١) المقومات الاقتصادية

منذ الأزمنة القديمة كانت النظرة إلى الضيق الاقتصادى باعتباره السبب الأساسى لأمراض المجتمع. وقد حاول كثير من الاقتصاديين وعلماء الاجتماع الاستعانة بدراسات متعددة ليؤكدوا أن الأسباب الرئيسة للانحرافات الاجتماعية تنبع جميعها عن العوامل والقوى الاقتصادية فى المجتمع، وكثير من هؤلاء الكتاب أدرك أهمية العوامل الاقتصادية وأثرها فى الحياة الاجتماعية.

وقد ظهرت تفسيرات اقتصادية مطلقة للجناح والجريمة وإدمان الخمر وانتشار

البغاء والإصابة بالأمراض العقلية وغيرها من المشكلات الاجتماعية، ويتضح من كل هذه الدراسات أنها تدور حول عامل واحد هو العامل الاقتصادى، وأنه إذا أمكن إزالة الفقر والتخلص من البطالة والسيطرة على التقدم الآلى بصورة ملائمة وتوفير المسكن الصحى لكل أسرة فسوف تدخل الإنسانية فى العصر الاجتماعى السعيد الذى يخلو فيه المجتمع من المشكلات الاجتماعية.

أثر الفقر فى الأسرة :

لا جدال فى أن للفقر باعتباره الحالة التى لا يكفى فيها دخل الأسرة عن إشباع حاجاتها الأساسية المتغيرة للمحافظة على بنائها المادى والنفسى والاجتماعى - نتائجَ خطيرة على الصحة ونوع الثقافة السائدة فى حياة الأسرة ومدى ما يتوفر لها من فرص التعليم والفقر قبل أى شىء آخر، هو الذى يحرم الأسرة من المشاركة الاجتماعية وبصفة خاصة فى المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية. وبالرغم من ذلك فهناك كثير من الاعتراضات تقف فى وجه التفسير الذى ينسب كافة الانحرافات الاجتماعية ويعزوها إلى الفقر؛ ذلك أن مفهوم الفقر يحمل معنى نسبيًّا فليس دخل الأسرة موضوعًا كميًّا فحسب. فقد يحقق الدخل مطالب الأسرة المادية ولكنه لا يحقق لها الشعور بالأمن أو الإشباع النفسى والاجتماعى فإذ هو يؤثر ويتأثر بمستويات الطموح لدى الأسرة، وبالوضع الطبقى الثقافى السائد فى المجتمع ويؤثر فى الاتزان النفسى وفى علاقة الفرد بالأسرة، ولهذا تنادى بعض المجتمعات بالحد من التفاوت الكبير بين الدخول فى المجتمع الواحد وتقريب الفروق بين الطبقات؛ لأنها ترى فى هذا التقارب وسيلة لتخفيف حدة الضغوط النفسية وتقليل حدة التناقضات التى لا بد من وجودها فى المجتمع الواحد.

فالأسرة ذات الدخل المحدود قد لا تستطيع أن تتبنى القيم العليا للمجتمع؛ لأن مركزها الاقتصادى يحول بينها وبين احتواء القيم النفسية والاجتماعية؛ ومن هنا يكون انحراف الفرد نتيجة مباشرة اتجاهاته ومشاعره نحو وضعه الاقتصادى والاجتماعى أو الحرمان النسبى الذى يشعر به.

وقد دلت عدة أبحاث على أن الفقر وحده ليس هو العامل الوحيد فى تفسير السلوك المنحرف. ولا يمكن أن نفسر العوامل الاقتصادية وحدها سلوك المتشرد أو العامل المتمارض أو قاطع الطريق أو تاجر المخدرات أو حتى سلوك المتسول وتشير الدراسات إلى تأثير عدة عوامل مهمة أخرى تتصل بعيوب الشخصية.

المسكن والانحراف :

يعتقد بعض الدارسين أن السكن السيئ يعتبر فى حد ذاته سببًا فى الانحراف غير أن الغالبية يعتبرونه من أهم أسباب الانحراف، وقد أكدت الحقائق العلمية أن المسكن غير الملائم يلعب دورًا أساسيًّا فى السلوك المنحرف.

وقد تبين أن المساكن الرديئة عامل مهم فى كافة مظاهر الانحرافات الاجتماعية على وجه التقريب، وخاصة بالنسبة لانحراف الأحداث والعلاقة بين حالة المسكن والجناح تظهر فيما يلى :

١) تزداد نسبة الانحراف فى المناطق المختلفة التى تنقصها المرافق المادية؛ حيث يكثر التجمع وترتفع درجة التزاحم إلى جانب انتشار حلقات القمار والحاناتَ وبيوت الدعارة.

٢) نتيجة الازدحام الشديد فى الأسرة يشترك صغار الأولاد والبنات فى نفس المكان مع الكبار وأحيانا مع غير أعضاء الأسرة، وكذلك يشترك المراهقون من الجنسين فى نفس الحجرة وقد يرقد خمسة أفراد أو أكثر فى حجرة واحدة.

٣) تتميز هذه المناطق من المدينة بالكثافة العالية فى عدد السكان، وتقل فيها أماكن الترويح وتتقارب المساكن لدرجة تجعلها محرومة من النور الطبيعى والتهوية وتتحمل عادة نصيبًا عاليًا من حالات الانحراف.

٤) السكن المشترك أو الضيق يدفع الطفل إلى الهروب من المنزل والتجمع فى الشارع؛ نتيجة ما يشعر به من توترات وضغوط وهذا يدفعه إلى الالتقاء مع غيره من الأحداث وتكوين العصابات التى تشجع على الانحراف.

غير أن التحليل الدقيق لزيادة نسبة الانحراف فى الأحياء السيئة لا يجعل من المركز الاقتصادى المنخفض أو من سوء المسكن تفسيرًا كاملًا للانحراف، ولكن يمكن أن نقول إن المركز الاقتصادى المنخفض هو الذى يدفع الأشخاص نحو السكن فى المناطق التى تنخفض فيها إيجارات المساكن، وهذه المناطق تسود فيها خصائص المجتمع الحضرى ويتضح فيها الصراع بين القيم.

ويمكن أن نقول إن المسكن الصحى الملائم إن لم تتوفر فيه العلاقات الاجتماعية الإيجابية ويسوده الجو النفسى الصحى يكون أثره ضئيلًا فى منع الصراعات والتوترات وما يصاحبها من انحرافات مختلفة.

الجوانب المادية فى حياة الأسرة :

لا جدال فى أهمية الشئون المالية فى الزواج ويعتبر توفير أساس مادى من الأمور الحيوية فى حياة الأسرة. ويتجه النمط الأسرى فى المجتمع المصرى نحو قيام الزوج بالحصول على الدخل اللازم لاحتياجات الأسرة، وترى الغالبية أن البيت هو المكان الطبيعى للزوجة وتجرى هذه التقاليد فى الجزء الأكبر من أسر الجيل الماضى.

وفى المجتمع الحضرى بصفة خاصة تعتمد الأسرة على دخلها فى الحصول على ما يلزمها من سلع وخدمات كان البعض منها على الأقل من اختصاص الزوجة، فتقوم عادة بصنعه وتوفيره لأعضاء الأسرة، وفى بعض الحالات قد لا يفى دخل الزوج بإشباع حاجات الأسرة المتزايدة بدون مساعدة مادية من جانب الزوجة ولذلك تضطر الزوجة إلى الخروج إلى الحياة العامة والعمل بأجر خارج الأسرة، وكثير من النساء سنحت لهن فرص مختلفة للحصول على قسط ملائم من التعليم والتحقن بعدد من الوظائف المختلفة سواء فى المصانع أو الشركات أو الدوائر الحكومية. وتلجأ إلى العمل بعض الأرامل والمطلقات وزوجات الأشخاص الذين يتغيبون عن الأسرة لفترات طويلة؛ نتيجة ظروف العمل الذى يقومون به إلى العمل الخارجى كوسيلة لتخفيف آثار الشعور بالوحدة، وإن كانت الحاجة الاقتصادية غير

ملحة بالنسبة لهن. عندما تكتسب المرأة خبرات الحياة الاجتماعية الخارجية وتمر بتجارب العمل وتتسع دائرة علاقاتها يتعذر على كثير منهن العودة إلى حياة البيت الرتيبة والاعتماد على الزوج مرة أخرى فى تحمل نفقاتها الخاصة. والأجر المنظم الذى تحصل عليه المرأة العاملة يجعلها لا تستطيع التخلى عن العمل الخارجى ويصبح من الأمور الضرورية بالنسبة لها. وهى تحاول دائمًا أن ترفع من مستوى معيشة الأسرة، كما ترسم الخطط المستمرة لإدخال تحسينات متجددة فى حياة الأسرة عن طريق الدخل الذى تحصل عليه.

وكثير من المشكلات المالية تبدأ بالجدل حول الشخص الذى يقوم بالإنفاق فى الأسرة، وقد تتبع بعض الأسر الطريقة التقليدية التى يقدم فيها الزوج لزوجته النفقات الشهرية للأسرة ويترك لها حرية التصرف فى حدود المبلغ، وقد تسبب هذه الطريقة مضايقات للزوجة؛ إذ إنها تحدد تبعيتها ومركزها الثانوى فى الشئون المالية للأسرة، كما يمثل تسليم الدخل الشهرى بأكمله الزوجة واحتفاظ الزوج بمصروفه الشخصى قيدًا مماثلًا، ويؤدى أسلوب المنع الذى تطالب فيه الزوجة بالنقود كلما ظهرت أمامها بعض الاحتياجات الأسرية ألوانًا من الضيق والشعور والامتهان، ويهدر الجانب المتطرف للإنفاق عندما يحتفظ كل من الزوج والزوجة بحساب خاص مستقل، ولا يمكن أن تعتبر هذا الأسلوب عمليًّا لكثير من الأزواج وتعتبر الخطة الأكثر واقعية وفاعلية تلك التى تقوم على حساب مشترك يساهم فيه كل من الزوج والزوجة ويتحمل كل منهما مسئولية متبادلة، وعادة لا يتساوى الإنفاق تمامًا بالنسبة للطرفين ولكنه يحقق على الأقل المناقشة الديموقراطية والمسئوليات المشتركة لكل من الزوج والزوجة إزاء نفقات الأسرة، ومثل هذه العملية المشتركة لا يمكن أن تحقق نجاحًا إلا فى ضوء تخطيط مناسب لميزانية الأسرة.

*** ميزانية الأسرة :**

ميزانية الأسرة فى أبسط صورها تتمثل فى قيام الأسرة بتقدير الدخل الذى

تحصل عليه، ومحاولة توزيع هذا الدخل بين أوجه الإنفاق أو بين السلع والخدمات التى يتضمنها الاستهلاك بصورة تحقق أقصى منفعة ممكنة بأقل تضحية ممكنة.

وتوضع ميزانية الأسرة على أسس ديموقراطية تقوم على مناقشة بنودها شهريًا والاقتناع بها حتى يلتزم كل عضو من أعضاء الأسرة بتنفيذها، ولا بد للأسرة أن تدرس احتياجاتها وتقوم بتخطيط الميزانية بحيث يشترك كل عضو من أعضاء الأسرة فى مناقشة بنودها ويبدأ التخطيط بدراسة بنود الإنفاق الثابتة من مسكن وغذاء وكهرباء وهذه يمكن تقديرها بسهولة ثم تأتى بنود الإنفاق المتغيرة كالملبس والدواء ومطالب التعليم والترفيه وغيرها من البنود التى يمكن ضغطها حتى تلائم الدخل والهدف فى فترة معينة من حياة الأسرة.

وكل أسرة فى المجتمع ذات دخل وإنفاق، ولكن الأسر تختلف فيما بينها من ناحية طريقة حصولها على الدخل ثابتًا أو متغيرًا أسبوعيًّا أو شهريًّا موسميًّا أو عارضيًّا، كما تختلف فيما بينها من ناحية التصرف فيه، فالأسرة حين تتأثر بالتقاليد والعادات السائدة فى مجتمع معين قد تندفع وراء مظاهر الإسراف أو اقتناء بعض الكماليات؛ وبالتالى تستنفد كل دخلها ولا يبقى منه شىء للظروف الطارئة أو الأزمات، أو قد يكون الإسراف على حساب بعض الضروريات، وهذه العوامل ناشئة عن الأسرة ذاتها وتستطيع أن تتحكم فيها وتسيطر عليها.

وشعور الأسرة بالفشل الاقتصادى يؤدى إلى آثار ضارة على الأعضاء تظهر فى نشاطها وفى علاقاتهم مع بعضهم البعض، ومن نتائج الشعور بالفشل فقدان الاهتمام بالحياة والهروب من المسئوليات الأسرية. وفقدان الثقة بالنفس والانكماش والاستسلام بسهولة للمواقف المختلفة، وتجنب الإحساس بالفشل بالاستغراق فى أحلام اليقظة والصعوبة فى تكوين علاقات اجتماعية ناجحة وتبادل اللوم بين الزوجين وإثارة المنازعات الأسرية.

الادخار الأسرى :

إذا كانت الأسرة تجاهد فى سبيل زيادة دخلها حتى تتمتع بمستوى ملائم للمعيشة فعليها كذلك أن تستبقى جزءًا من الدخل فى شكل مدخرات باعتباره الوسيلة الوحيدة لرفع مستوى المعيشة بوسائل أو الوضع أو البطالة وغيرها من الأزمات، كما أن دخل الأسرة لابد أن يهبط عندما تحل الشيخوخة ما لم تستكمله بإيرادات إضافية من مدخراتها السابقة.

(٢) المقومات الصحية

تعتبر الأسرة هى الأداة البيولوجية التى تحقق إنجاب النسل واستمرار حياة المجتمع، وهى الوسيلة التى تنتقل من خلالها الخصائص الوراثية من جيل إلى آخر، ولا جدال فى أن سلامة الأبوين الصحية تؤدى إلى نسل سليم.

فالخصائص الوراثية تنتقل من الأبوين إلى الأبناء عن طريق الصفات التى تحملها الجينات، ويبدأ الجنين بالتقاء خلية واحدة ليسهم الأب بخلية واحدة تسهم بها الأم وهذه الجينات هى التى تحدد الصفات الموروثة.

وقد كان جالتون أول من دعا إلى حركة تحسين النسل فى نهاية القرن التاسع عشر، وهو أول من أطلق على الدراسة العلمية التى تهدف إلى تطبيق برنامج يضمن لكل طفل تكوين وراثى سليم اسم (علم تحسين النسل)، ويهتم هذا العلم بإعداد الرأى العام حتى ينظر إلى الزواج والإنجاب نظرة إنسانية، وإقناع المقبلين على الزواج بأن الوراثة الصالحة أو الاستعداد الجسمى السليم هو حجر الزاوية فى الحياة الأسرية السعيدة.

ولعلم تحسين النسل فروع كثيرة لعل أهمها الفرع الوقائى الذى يرمى إلى تبصير الآباء بأخطار الإدمان على الخمر وتعاطى المخدرات، وقد ثبت علميًّا أن المشروبات الكحولية تؤثر على خلايا المخ وتضر بكافة خلايا الجسم، كما تؤدى المخدرات إلى انهيار القوى العقلية والجسمية، وكلاهما تترتب عليه وراثة ضعيفة وثمة مخاطر أخرى تتمثل فى الأمراض التناسلية التى تصيب الرجل والمرأة وتؤدى أحيانا إلى العقم أو الإجهاض أو تعريض الطفل لتشوهات ولادية مختلفة.

ويقرر كثير من العلماء أن ضعف النسل وانحطاط قدرته العقلية يرجع فى كثير من الأحيان إلى عوامل وراثية ولهذا السبب ينصحون بعدم زواج الأقارب خاصة إذا كانت درجة القرابة وثيقة؛ إذ تنتقل إلى الذرية كل الصفات السيئة فى الأصول القريبة وبعض الخصائص الضعيفة فى الأصول البعيدة.

ويعتبر تنظيم الأسرة معيارًا صحيًا فى المقام الأول فهو إجراء يدخل فى اعتباره صحة الأم ويسعى إلى توفير الولادة المأمونة والنمو الصحى للأطفال الأسوياء من ناحيتين :

الأولى بتعليم الأبوين طريقة تنظيم إنجاب الأطفال على فترات متباعدة بحيث يولدون عندما تكون الأم فى حالة صحية ونفسية ملائمة لاستقبال الطفل الجديد، وعندما تسمح ظروف الأسرة بتوفير الرعاية المناسبة للأطفال وإشباع حاجاتهم المختلفة.

والثانية مساعدة الزوجين فى علاج العقم حتى يتمتعا بعواطف الأبوة ويكتمل بناء الأسرة.

*** الجوانب الاجتماعية للمرض :**

حتى يمكن إدراك آثار المرض فى حياة الإنسان والوصول إلى حلول للمشكلات التى تنشأ عن المرض أو العجز من الضرورى أن نبدأ بتعريف معنى المرض: ويعرف المرض بأنه الحالة التى يعجز فيها الفرد عن القيام ببعض أو كل أنواع النشاط أو الوظائف التى يباشرها الأسوياء أو ترتبط عند القيام بها بالألم أو الضيق وعندما يتعرض الشخص للمرض فإن العلة تشمل الشخص كله، فالعلة لا تنعزل فى جانب منه بل يشمل المرض الشخص بأكمله.

أثر المرض فى الأسرة :

عندما يتعرض أحد أعضاء الأسرة للمرض تؤثر حالته فى كل عضو يضمه البيت؛ إذ يضطرب نظام الحياة اليومية للأسرة كما يفرض المرض أعباء ومسئوليات إضافية على عاتق الأعضاء الأصحاء؛ وبينما يسبب المرض القصير مشكلات طفيفة

نسبيًا فإن المرض الطويل يسبب أضرارا بالغة؛ وعندما يكون المرض ذا طبيعة معدية ولا تسمح ظروف الأسرة بنقل المريض إلى المستشفى تقع على عاتق الأعضاء الأصحاء مسئولية اتخاذ احتياجات وقائية حتى لا تنتقل إليهم العدوى. وعموما تقرر درجة الاهتمام التى تبديها الأسرة نحو الفرد المريض مقدار تقبل المريض لحالته وكذلك تقبل النتائج النهائية التى تترتب على المرض.

مرض رب الأسرة :

عندما يصيب المرض عائل الأسرة يتوقف دخله أو ينخفض بطريقة آلية؛ ونتيجة لذلك تقاسى زوجته وأسرته آثار الحرمان. وبالرغم من أن المريض قد ينطبق عليه قانون التأمين الصحى وتأمين الإصابة فينبغى أن تمر فترة لحين تقديم الطلب واتخاذ إجراءات صرف المعاش. وكقاعدة عامة لا يصرف المريض المعاش فى المواعيد التى تسمح بمواجهة النفقات اليومية، كما تحتاج الأسرة إلى النقود للإنفاق على مطالب البيت وتكاليف الحياة العادية. وما لم تكن للمريض مدخرات سابقة تساعده فى مواجهة مثل هذه الظروف الطارئة فقد يشعر بالفشل فى القيام بالتزاماته نحو أسرته، ويؤدى القلق والهم حول مصير الأسرة إلى انحراف مزاج المريض واكتئابه بدرجة تجعل المحيطين له يسيئون تفسير سلوكه، ويعتقدون أنه لا يقدر ما يبذل له من تضحيات.

وإذا كان مرض رب الأسرة من النوع الذى يستمر لمدة طويلة فقد تضطر الأم تحت ضغط الحاجة إلى الخروج للعمل حتى تستطيع إعالة نفسها وأطفالها. وقد يتعذر عليها أن تجد عملًا بسبب السن أو الأمية أو نقص الخبرة المناسبة. فإذا نجحت فى إيجاد عمل فسوف تضطر إلى ترك البيت، وفى أثناء غيابها قد يقوم الكبار من الأبناء نسبيًا بتحمل مسئولية رعاية الصغار، فإذا كان الأب المريض يقيم فى المنزل فقد يعطل وجوده كل نشاط ترويحى أو تعليمى للأطفال، وقد تتحول نظرتهم إليه باعتباره عائقًا فى سبيل سعادتهم.

أثر المرض على الأم :

يجلب المرض الذى يصيب ربة البيت كثيرًا من المشكلات ويؤدى إلى اضطراب الحياة الأسرية، وعندما ترقد الأم فى فراش المرض تمل حالتها وضعفها مشاعر أعضاء الأسرة، وعلى الرغم من المحاولات التى يبذلها الأب للقيام ببعض مسئولياتها وواجباتها فإن ما ينتابه من قلق وجزع حول حالتها ينتهى به إلى التوتر والعجز عن تدبير أمور الأسرة، وعندما تشعر الأم بالضيق نتيجة ضياع صغار الأطفال سرعان ما ينسب تصرفاتها إلى ما تعانيه من قلق، على حين أن مرجع الضيق الذى ينتابها هو أن الطعام لم يعد لهم فى مواعيده المألوفة ولأن ملابسهم فى حاجة إلى تنظيف، بل قد ينتابها الضيق لأن المنزل ليس على درجة مناسبة من النظافة والترتيب، وهى تشعر بالبؤس لأن حالة الأسرة تعكس عجزها عن تدبير شئون البيت ومباشرة إشرافها على أموره، ولأن زوجها يقوم بأعمال غير مألوفة بالنسبة له، ولأن حياة أولادها تغمرها فوضى شاملة.

أما فى حالة المرض الطويل عندما تعجز الأم عن مغادرة فراش المرض قد تنقطع الابنة الكبرى عن دراستها أو يتكرر غيابها حتى تستطيع القيام برعاية إخوتها الصغار، وعندما تقع هذه المسئولية على عاتق الابنة الكبرى قد تشعر بالغضب والمهانة، وهى عادة لا تضيق برعاية أمها بقدر سخطها على الظروف التى وجدت نفسها فيها، وسوف يكون من العسير عليها أن تصغى إلى متاعب الأخت الصغرى أو تتحمل مضايقات الأخ أو توترات الأب، وبمرور الوقت تضطر إلى ترك الدراسة لسبب تفوق وتقدم زميلات الفصل السابقات عليها؛ ونتيجة لذلك تتعرض للإحباط لفشلها فى إنجاز الهدف الذى رسمته لنفسها فى الحياة.

(٣) المقومات الاجتماعية

لا يمكن أن تنجح الحياة الأسرية إلا إذا شعر الزوجان بأهمية العلاقات الاجتماعية التى ينسجان خيوطها معًا، فالرغبة فى استمرار هذه العلاقات والروابط الاجتماعية تعنى الاستقرار والاطمئنان فى الجو الأسرى. ويمر الزوجان فى بداية الحياة الزوجية بسلسلة متصلة من عمليات التكيف للحياة الجديدة، فالزوج كانت له روابط مع أسرته السابقة ومع أصدقائه، والزوجة كذلك كانت ترتبط بعلاقات اجتماعية مع أسرتها السابقة، وبناء علاقات جديدة لا تعتبر عملية آلية تتم بمجرد وجود الزوجين تحت سقف واحد، بل تنشأ هذه العلاقات على أساس التقبل المتبادل وتعتبر كل طرف عن رغبته فى مساعدة الطرف الآخر والوقوف إلى جانبه.

وتقوم الحياة الأسرية على التكيف المتبادل بين الأدوار الزوجية من ناحية الإشباعات الجنسية والعواطف الودية والصداقة والديموقراطية أو المشاركة فى السلطة وتقسيم العمل، وعندما يتحول الزوجان نحو الأبوة تبدأ المسئوليات المشتركة نحو الأبناء وتسمو على كل العلاقات التى كانت قائمة من قبل فى علاقات الزوجين.

وبمولد الطفل يصبح مركز اهتمام الأم، وتقوم الأم بحماية الطفل وتقدم له الطعام والرعاية التى تؤدى إلى بقائه، ويقوم الأب بتوفير الحماية للأم والطفل ويوفر لهما ضروريات الحياة.

وإذا انفصل الأبوان لأى سبب من الأسباب فإن الطفل يظل عادة مع الأم. ففى

المرحلة الأولى من حياة الطفل من المعروف أن الأم هى الشخص الأول فى حياته وخلال وظيفة الرضاعة الطبيعية تصبح الأم هى المصدر الأول للغذاء كما يتوقف شعور الطفل بالأمن والراحة واستمرار الحياة على رعاية الأم. وفى هذه المرحلة من مراحل نمو الطفل من الواضح أن الأب يكون شخصًا ثانويًا. وهو والد احتياطى يقوم بحماية الأم ومساعدتها فى رعاية الرضيع، وهكذا يعبر الدور الخاص الذى تقوم به الأم عن عامل بيولوجى مهم فى حياة الطفل ولا تصبح الحاجة إلى الأب مباشرة أو ملحة. وقد تستطيع الأم والطفل مواصلة الحياة بدون الأب، وقد تكون حياة غير ملائمة أو يشوبها الاضطراب إلا أنهما مع ذلك يستطيعان الحياة، وفى هذا الموقف البيولوجى نتجه كثيرًا إلى التفكير فى غريزة الأمومة ولا تشير بنفس القوة إلى غريزة الأبوة.

ويمكن أن نتساءل هل للرجل ميل يماثل غريزة الأمومة؟ الواقع أن الآباء يعبرون عن عواطف الأبوة كما تفعل الأمهات، والملاحظة المباشرة تدفعنا إلى التأمل فى سلوك الآباء. وفى مواقف كثيرة نلاحظ الرجال يقومون بأدوار الحنان والقلق والحماية نحو الطفل الضعيف. وعند قيام الأب بدوره فى الأسرة كمساعد للأم يعمل على تيسير وظيفة الأمومة، وفى حالة غياب الأم قد يتحمل الأب كل مسئوليات الأمومة.

ومن الطبيعى أن يكون بين وظائف الأمومة والأبوة اعتمادًا متبادلًا وترتبط وظائف الأبوين بصورة أساسية إلى الحد الذى يجعل كل تغيير فى وظائف أحد الأبوين يتبعه تغيير مباشر فى وظائف الطرف الآخر، ومن ثَمَّ يصبح من المتعذر دراسة أدوار الأمومة أو الأبوة منعزلة عن بعضها وينبغى أن ننظر إليها دائمًا فى ضوء الارتباط المتبادل.

التفاعل الاجتماعى مع الطفل :

قد ترغب المرأة فى الزواج ومع ذلك قد لا ترغب فى إنجاب الأطفال، وقد تكون دوافع الزواج على درجة كبيرة من التشابك ولكنها لا تتضمن بالضرورة الرغبة فى

الأطفال، وقد تشعر المرأة برغبة قوية فى إنجاب الأطفال وقد يرغب البعض فى إنجاب عدد كبير وقد يميل البعض الآخر إلى عدد محدود وقد لا يرغب البعض الآخر نهائيًا فى الأطفال، وربما تتبلور الرغبة لديهن بعد إنجاب الطفل فعلاً، وهناك من الأمهات من ترغب فى طفل يختلف عن الطفل المولود. وتحمل بعض النساء مشاعر جارفة من الحب ويبدى البعض الآخر مشاعر ودية ضئيلة أو عارضة، والبعض يطلب الطفل لا حبًا فيه ولذاته ولكن لتحقيق دوافع أخرى مختلفة ومنها القضاء على القلق الذى ينتاب المرأة من جراء اتهامها بالبرود الجنسى أو العقم أو إرضاء لزوجها أو لتوقيع عقوبة عليه أو لاستخدام الطفل أداة للمساومة فى الصراعات الزوجية أو للحيلولة دون انهيار الزواج أو لاكتساب رضاء الأشخاص الآخرين كالأجداد أو الصديقات أو لتحقيق الصورة المثالية التقليدية للحياة الأسرية.

ومن المظاهر المألوفة فى بعض الأسر ما نلاحظه من انعكاس الأدوار بين الجنسين، فتقوم المرأة بالسيطرة واتخاذ القرارات ويقف الأب موقف التابع المستكين حتى يتجنب الجدال أو الشجار. كما تقوم الأم بدفع الأب وحثه على القيام بكثير من الواجبات التى تعتبر من صميم واجباتها. ويميل المجتمع الحديث إلى الخلط بين وظائف الأبوين لا من ناحية التماثل الجنسى فحسب بل كذلك فى جوانب حياتهما الاجتماعية والمهنية، إن تغير المركز الاجتماعى للمرأة وإن كان موضوعا مرغوبا فيه إلا أنه يجب ألا يتدخل لتمزيق الصورة الطبيعية للتكوين الجنسى للمرأة. ومن المسلم به أن المرأة ينبغى أن تدافع عن المواقع التى وصلت إليها وتكافح من أجل المزايا الجديدة التى حصلت عليها ولكنها فى الوقت ذاته لا يمكنها أن تتغاضى عن تكوينها الجسمى المتميز دون إحداث نتائج خطيرة.

اضطراب وظائف الأبوة :

قد يكون من الملائم أن نستعرض المؤثرات الحاضرة التى قد تؤثر فى تشكيل شخصية الرجل فى قيامه بدور الأب فيما يلى :

١- أثر الثقافة فى تنميط دور الأب.

٢- دوافع الرجل نحو الزواج والأبناء.

٣- علاقة الأب مع الطفل.

٤- علاقة الأب مع الأم كأبوين ثم كزوجين.

ومن الواضح أن مشكلات الأبوة ينبغى أن ننظر إليها فى ضوء التغيرات المتلاحقة التى طرأت على التنظيم الخاص بالعلاقات الأسرية، ونظرًا لأن وظيفة الأبوة تستمر طوال الحياة وهى أكثر استجابة للتغير الاجتماعى عن وظيفة الأمومة فلابد أن نوجه اهتمامًا خاصًا لأثر العوامل الثقافية فى تشكيل سلوك الأبوة.

ولقد أثر التغير الثقافى فى صورة الأب تأثيرًا عميقًا إذ أرغمه على التنازل عن كل مظاهر السلطة المطلقة فى الأسرة، ولم يعد الأب هو الحاكم المطلق الذى ينشر الخوف ويفرض الاحترام والطاعة، كذلك تضاءلت سلطته فى فرض النظام وتوقيع القصاص على كل من ينحرف عن نظام الأسرة سواء كانت الزوجة أو الطفل.

وبهذا الخصوص تلاحظ كثير من الاتجاهات أنه قد أصبح الأب يعيش على هامش الأسرة وأصبح للأم المركز الأول والأهم، بل أصبح الأب هو الرجل المنسى الذى يعيش فى الظل.

ومن المؤكد أن صورة رب الأسرة فى المجتمع الحضرى الحديث تختلف اختلافًا كليًا عن صورة الأب منذ قرن مضى. عندما كان الأب يتمتع بالسلطة والشدة والشجاعة باعتباره القائد الذى لا مرد لكلمته والحاكم المطلق للأسرة، وكانت الزوجة والطفل يقفان منه موقف الإجلال والاحترام ويخضعان لحكمته العليا. وهو وإن كان يمارس سلطانه فى قوة وحزم إلا أنه يعمل على نشر العدالة بين أعضاء أسرته، والنظام الذى يفرضه وإن تميز بالدقة إلا أنه لا يسىء استعماله، كما كانت تصرفاته الثابتة سواء عند القيام بدوره فى توفير الحماية للأسرة أو عند توقيع الجزاء عن الأعمال السيئة.

(٤) المقومات النفسية

لا يعتبر الزواج من الأمور العسيرة فآلاف الزيجات تتم سنويًا، وكثير من الأزواج يعتقدون أنهم سوف يحققون حياة زوجية سعيدة. فالحب يربط بين الطرفين، وكل منهما يرغب فى أن تسير الحياة الزوجية فى يسر وسهولة غير أنه من الواضح أن الحب وحده لا يكفى لتوجيه حياتهم وإرشادهم نحو الطريق السليم.

وليس الزواج فى الواقع إلا عملية إيجاب وقبول بين الطرفين تنتهى بتوقيع العقد الذى يثبت صحة الزواج، وإذا كانت هذه هى الخطوة الأساسية الأولى إلا أنها تبنى الحياة الزوجية بطريقة آلية؛ إذ إن البناء الحقيقى يتم على مدى مرحلة لاحقة من الزمن ويحتاج إلى طاقة كبيرة وقدر ملائم من المهارة، فالحياة الزوجية فن دقيق يستدعى إعدادًا وتوجيهًا سليمين لكل من يقدم عليه يهيئه للحياة المستقبلية. ويتطلب الزواج الموفق الذى يصمد لأزمات الحياة وضغوطها جهودًا مشتركة يبذلها كل من الزوجين على مدى سنوات الحياة، ولا يمكن أن يعتبر الزواج ناجحًا إلا إذا توفرت له عوامل التماسك والاستمرار.

فالزواج يقوم على الأخذ والعطاء وتسود فيه الديموقراطية وتتخذ فيه القرارات المشتركة ويؤدى إلى تنمية نسق كامل من العادات والتصرفات وأساليب العمل المتبادلة ويبدأ عادة كل من الشريكين فى التفكير فى أساليب الزواج وحدها بينما تكمن الصعوبات الحقيقية فى المراحل التالية.

ولا نعنى بذلك أن جميع الأزواج يمرون بسلسلة متصلة من المشاجرات والنزاع

فقد يكون التوافق أمرًا ميسورًا حتى أنهما لا يهتمان بما يحدث فى المواقف اليومية وعمومًا، فكثير من الأزواج يمارسون حياة زوجية ناجحة وقد بينت الدراسات أن التوافق بين الزوجين أكثر نجاحًا فى الحالات التالية :

١- **انتماء الزوجين إلى ثقافة اجتماعية متماثلة** : تتضمن الحياة الزوجية تكوين أساليب مشتركة للحياة، فالأكل والنوم والترفيه والإنفاق والكسب والحب والحياة جميعها من المسائل المشتركة فى الزواج، وعندما ينتمى الشريكان إلى أسر متماثلة تسود فيها عادات سلوكية متشابهة ويجمعها اتفاق أساسى حول التصرفات المختلفة تصبح الحياة المشتركة من الأمور الهينة. أما إذا كان كل من الزوج والزوجة ينتمى إلى بيئة اجتماعية متباينة كل التباين فإن عملية التكيف تصبح أكثر صعوبة.

٢- **الخبرات النفسية للزوجين** : يعتبر الجو النفسى للأسرة الذى عاش فيه كل من الشريكين قبل الزواج من العوامل المؤثرة على سعادة الزوجين، فالشخص الذى يمر فى طفولته بخبرات سارة توفر له الأمن والحب يمكنه النجاح فى إقامة علاقات زوجية سعيدة، ويؤكد كثير من علماء النفس أن الطفل المحروم من الحب أو المهمل أو التعس لا بد من أن يصبح أبًا قاسيًا أو زوجًا سيئًا أو شريكًا غير موفق. والواقع أن التاريخ للزوجين يلعب دورًا مهمًا فى تحديد السلوك الذى يتخذه الواحد منهما إزاء الطرف الآخر نظرًا لأن كلا منهما يحمل معه خبراته النفسية الأولى التى اتخذها نحو أبويه وأخواته فى مرحلة الطفولة أو المراهقة.

٣- **النضج الانفعالى** : إن أفضل الزيجات هى التى تتم بين شخصين يقدران على الزواج ويرغبان فيه ويتوفر لهما درجة من النضج تجعلهما يحتكمان إلى العقل والمنطق وتقبل ما تأتى به الحياة من مواقف. وبمعنى آخر يتوفر لهما النضج الانفعالى، ولا يتحدد النضج الانفعالى بعدد سنوات العمر التى بلغها كل منهما. وعمومًا فإن الشباب فى سن الخامسة والعشرين والفتيات فى مطلع العشرينات أكثر استعدادًا لتحمل صعوبات الزواج، ولا يكون التفكير فى الزواج قبل ذلك.

٤- **اشتراك الزوجين فى أهداف عامة**: فعندما يتفق شخصان من ناحية الميول والأهداف المشتركة العامة يستطيعان تحقيق التكيف المتبادل عن شخصين تتعارض وجهات نظرهما وفلسفتهما فى الحياة.

٥- **التعارف العميق**: تحتاج رابطة الزواج إلى تعارف كامل بين الشريكين قبل الزواج حتى تتوفر له فرص النجاح، ولا جدال فى أن الزواج الذى يتم بعد فترة مناسبة للتعارف أكثر دوامًا وأفضل من الزواج الذى يجرى فى عجلة ورعونة لا تسبق فترة تعارف حقيقى.

*** الحب والزواج :**

تنتشر كثير من الأفكار الوهمية والقصص الرومانتيكية حول الحب والزواج إلا أن الحب لا يعتبر أساسًا منطقيًّا يقوم عليه الزواج ونحن فى حاجة فعلًا إلى أن نتعلم وندرس الحب كما هو فى الواقع.

وتدور الفكرة التقليدية القديمة عن الحب والزواج حول أسطورة وجود رجل واحد معين من نصيب امرأة معينة، وعندما يجود القدر بالتقائهما يقعان فى حب عميق، وإن الشخص لا يقع فى الحب إلا مرة واحدة مع الشخص الموعود وعندما يقع الشخص فى الحب ويشعر به يسيطر على حياته ويشغل تفكيره.

وينبغى على المحب إن كان مخلصًا فى حبه حقًا أن يسعى وراء الزواج بمن يحب مهما كلفه هذا السعى من صعاب. وعندما يتزوج الشخص بمن يحبه ينتهى شقاؤه ويركن إلى حياة سعيدة طوال حياته.

والواقع ينفى هذه الأفكار الأسطورية فكثير من الأشخاص يحق أن نقيم معهم بحياة ودية سعيدة وننشئ معهم زواجًا موفقًا يوفر كثيرًا من الإشباع. ومنذ الطفولة المبكرة وحتى سن الكهولة يمارس الشخص ألوانا مختلفة من الحب مع كثير من الناس، وتختلف هذه العلاقات عن بعضها البعض وتتميز فى نوعيتها، ومع ذلك

تجمعها صفة مشتركة هى الحب. فليس الحب هو كل شىء فى الزواج، وقد تكون هناك كثير من العوامل أقوى تأثيرًا لتوفير الزواج الناجح.

والاندفاع نحو الزواج بغير زاد سوى الحب يؤدى إلى مخاطر اجتماعية وشخصية كما يظهر فى كثير من حالات الفشل والطلاق، والشخص لا يستطيع أن يعيش سعيدًا طوال حياته ما لم يبذل جهدًا متصلًا فى بناء السعادة والمحافظة عليها.

إن الحب الرومانتيكى مصنوع من ضباب الأحلام، ويعتمد على الأمانى والمثالية وهو ينظر إلى المحبوب فى صورة المثال أو النموذج رجلًا أو امرأة صورة لا يمكن أن تتحقق فى الكائن الإنسانى، ويكون فى قوته وذروته عندما يجهل كل شريك طبيعة الطرف الآخر. ولذلك يقال إن الحب أعمى أى أنه يخفى الحقائق الموضوعية، ولذلك ينبغى أن يميز الشخص الذى يقبل على الزواج بين الخيال الذى يغلف الحب والحقائق التى يكتشفها العقل وينمو الحب بين الزوجين بتقدم الزواج وينشأ من خلال الألفة والصداقة والمساعدة المتبادلة، ويحل الحب الزوجى محل الحب الرومانتيكى بزيادة التعارف والمعاشرة بين الشريكين، وفى الواقع يعتبر الحب الزوجى أكثر إشباعًا؛ لأنه يتولد نتيجة مواجهة الزوجين للواقع وتقبل كل منهما للآخر كما هو بعيوبه ومحاسنه.

وكثير من الحب الراسخ المستقر ينمو بعد الزواج ويستطيع الشخص أن يتأكد من أن الميل الذى يشعر به يكفى لأن يقبل على الزواج. ويختلف الأشخاص فى طريقة التعبير عن الحب ويرى البعض أهمية التأكيد المستمر لعبارات الحب، بينما يضيق البعض الآخر بهذا الحال ويكتفون بالإحساس بالعلاقة الودية، ويستطيع كل زوج أن يتصرف بالأسلوب الملائم بالنسبة للطرف الآخر.

ويعتبر تقديم الهدايا البسيطة وتذكر المناسبات الخاصة والاهتمام والنظرات الودية وإبداء التقدير والتشجيع للجهود التى يبذلها الطرف الآخر - من الأمور التى تؤكد الحب وتنعشه، كذلك تبادل عبارات التحية والمشاركة فى بعض

المسئوليات والميول المشتركة والإصغاء وإبداء الاهتمام بأنواع النشاط الذى يقوم به الطرف الآخر - كلها من الأمور التى تثرى الحياة الزوجية وتبعث الهواء النقى فى الجو الأسرى.

الجنس فى الحياة الزوجية :

يلعب العامل الجنسى دورًا مهمًّا فى تكيف العلاقات الزوجية، وقد ثبت بالتجربة أن هذا التكيف يرتبط بعنصر الزمن. ومن الواضح أن التكيف الجنسى يتوقف على عوامل كثيرة لعل أهمها التربية الجنسية السليمة التى تلقاها كل من الطرفين ومدى خبرة كل من الزوج والزوجة بالنشاط الجنسى. وقد يكون عدم التوافق الجنسى تعبيرًا عن سوء التكيف فى مجالات أخرى من الحياة الزوجية، ومن ثَمَّ يكون الصراع الذى يدور حول الجنس مظهرًا للصراعات والمشاجرات القائمة بين الزوجين وليس سببًا لها.

(٥) المقومات الدينية

تنتشر المعتقدات والممارسات الدينية فى كافة المجتمعات المعروفة من أصغر المجتمعات بدائية وعزلة إلى أكثر المجتمعات تعقيدًا وتحضرًا. ولا يمكن أن نقول إن كل الأفراد متدينون إلا أننا نلاحظ وجود بعض أشكال السلوك الدينى حيثما توجد المجتمعات الإنسانية، فالدين من أهم النظم الاجتماعية التى نلاحظها فى كافة المجتمعات التى يخضع لها الفرد فى تصرفاته وسلوكه وإلا استحق الجزاءات المختلفة التى يفرضها المجتمع. وعندما يولد الفرد يجد نفسه محاطًا بأسرة يعتبر الدين أحد عناصر ثقافتها الأساسية المهمة وأحد المثيرات القوية التى تفرض نفسها عليه كى يستجيب لها.

أصول الدين

ينبغى أن نتقص منبع العقيدة الدينية فى كل من الفرد والمجتمع أى فى طبيعة الشخصية الإنسانية وفى كل ما يؤدى إلى صلابة المجتمع وتماسكه.

فالدين فى مجتمع معين يؤلف بين حقوق الأفراد وواجباتهم ويربط هذه الالتزامات بالقوة العليا المهيمنة على البشر التى تستطيع أن توقع العقاب على كل من يتجاوز حقوقه أو يعتدى على حقوق الآخرين، كما يمكنها أن تثيب المحسن الذى يكبت شهواته ونزواته ويحترم حقوق غيره من الناس، فالفرد لا يمكنه أن يعيش منعزلاً عن المجتمع، ولا تستقيم الحياة الاجتماعية إلا إذا خضعت العلاقات بين الناس لمجموعة من القواعد والتنظيمات. وهناك عدد من النظريات التى تفسر سبب ظهور الدين ودوافع وجوده فى المجتمع:

١ - **التغلب على الخوف والقلق** : لما كانت الحياة المحيطة بالإنسان مليئة بالأمور الغامضة فهو يسعى ويحاول التغلب على مخاوفه الخاصة وكل ما يثير فى نفسه القلق بصفة عامة، وقد ينبعث مثل هذا الاضطراب نتيجة الخوف والرهبة من القوى الطبيعية وشعور الشخص بعجزه الذاتى بالمقارنة الخارقة التى تحيط به. كذلك ثمة مخاوف دائمة ترتبط بفكرة الموت متى يجىء وما مغزاه.

٢ - **البحث عن تبرير للوجود والتوحد الأخلاقى** : فى كافة المجتمعات نلاحظ ما يشير إلى سعى الشخص نحو قيمة أخلاقية فى الحياة فهو ينشد فى حياته قاعدة ونظامًا محددًا يبرر به ما يكافح أو يتصل من أجله ويجعل لكل ما يقاسيه فى الحياة معنى فى نظره. فالدين يعد الفرد بمثل وقيم عليا يهتدى بها فى حياته وحياة الفرد مليئة بالقيود والموانع التى تحول دون تحقيق جميع رغباته، وإذا لم يكن له عاصم من القيم الدينية تعرض للصراع والإحباط، كما يتعرض لكثير من الأزمات والصعاب، وفى رحاب الدين يشبع الفرد هذه الحاجات ويساعده الدين على تكامل شخصيته ويجعله يربط بين حياته اليومية والأهداف العليا، كما يستطيع أن يواجه الإحباط باتزان أكثر وثقة بالنفس.

٣ - **محاولة تفسير الظواهر الكونية** : فى جميع المجتمعات تبذل بعض الجهود لتفسير وتفهم البيئة التى يعيش فيها الإنسان، وقد تتجه هذه المحاولات نحو تفسير القوانين الكونية وتفسير نشأة الأرض والسموات، وكذلك تفسير أسباب حضرية الأرض أو جدبها ودورة الحياة من الميلاد إلى الموت والشتاء والصيف. وعملية التفسير هذه تمثل باعثًا لاطمئنان الإنسان وتجعله أكثر إدراكًا للعالم المحيط به وأكثر ألفة له وأكثر اهتمامًا بكل ما يجرى من حوله، وهذا الإدراك يعتبر أسلوبًا آخر لإزالة ما ينتاب الإنسان من قلق أو مخاوف.

٤ - **تأييد المعايير والقيم** : يعتبر الدين ضرورة أخلاقية تحتمها حاجة الفرد إلى الضبط، فهو يساعد الفرد فى كبح غرائزه والسيطرة على أنانيته. وتعتبر القيم التى

يتضمنها الدين كالخير والعدل والسلام مما يعين الفرد على تقبل ما يتعرض له من حرمان أو ما يفرض عليه من تضحية. ولهذا فإن الصلاة وغيرها من ضروب النشاط الدينى تكون توسلا إلى الله أن يساعد الفرد على مغالبة النفس والتماس التأييد والرضى.

وعندما نتعرض لمقومات الحياة الأسرية التى تساعد فى المحافظة على استقرارها فإننا نجد أن الدعامة الأولى هى ضرورة توفير القيم الروحية فى داخل الأسرة، ولما كان الطفل عبارة عن كائن حى يتكون من جسم وروح مزود بالعقل والإرادة الحرة ومسئول عن سلوكه وتصرفاته ويؤمن بالحياة الآخرة فإن العمل الأساسى للأسرة ولكل من البيت يصبح حث الطفل وتوجيهه حتى يتلاءم مع طبيعته وتكوينه، وتدريب الطفل ينبغى أن يعتمد على الدين أهم المصادر التزاما بمبادئ الحياة السليمة، وكلما ازداد ارتباط الدين بالحياة اليومية أصبح وسيلة الطفل فى السيطرة على النفس وترويضها.

وإذا كان الدين لا يرتبط إلا بالدروس فى المدرسة وحدها فلن نجد له تأثيرا حاسمًا أو انعكاسا واضحًا فى حياة الأسرة.

إن أسس تكوين الشخصية إنما تنشأ بتوجيه الطفل تبعًا لطبيعته وقدراته عن طريق تدريب منظم للقيم الأخلاقية التى يتضمنها الدين وسط بيئة منزلية صحية وفى حياة أسرية فاضلة.

ولما كانت الحياة الأسرية تمثل الخبرة الأولى فى حياة الطفل فهى توفر لذلك أفضل الفرص التربوية وتسمو على أى نظام آخر فى تأثيرها، وطبيعة العلاقات الأسرية الحميمة تجعل خبرات الأسرة من النوع الذى يترك انطباعا عميقا فى نفس الطفل، وبالإضافة إلى هذه الحقائق فإن الفرد فى طفولته وحياته المبكرة أكثر إحساسًا بالمنبهات المختلفة عنه فى المراحل اللاحقة؛ ولذلك تكون الخبرات عميقة التأثير فى شخصيته.

وتختلف مشكلة السلوك الأخلاقى بدرجة كبيرة من أسرة إلى أخرى، فبعض الأسر تتمسك بالقيم والمعايير الأخلاقية والبعض الآخر يتعرض للتصدع والتفكك الخلقى، والانهيار الأخلاقى للأسرة غالبًا ما يؤدى إلى انحراف الصغار كما تشير إلى ذلك كثير من الدراسات.

فإذا فشلت الأسرة فى وظيفتها الأخلاقية ولم تتحمل المؤسسات الأخرى مثل هذه المسئولية فمن المحتمل أن يتحدى الطفل كل القواعد والقيم الاجتماعية ويسخر منها، وتتحقق فاعلية الأسرة كمؤسسة لتكوين الخلق على درجة التكامل التى تتمتع بها ومدى وضوح أهدافها وأغراضها. وفى المجتمع الذى تزداد فيه نسبة الطلاق لاختلاف أهداف الأبوين وتباين نظرتهما للحياة تتفاءل بدرجة كبيرة احتمالات قيام الأسرة بدورها كمؤسسة تربوية.

ومن أهم الوسائل التى تؤدى إلى زيادة التكامل والوحدة بين أعضاء الأسرة ممارسة الشعائر بطريقة جماعية. مثل هذه الممارسات الدينية ترفع الأسرة فكريًا ومعنويًا وتمنع الانحراف. وينبغى أن تتجه المناقشات الأسرية والتصرفات نحو تأكيد الفضائل والتمسك بالقيم الروحية بالكلمة والمثال؛ حتى ينشأ الطفل بصورة طبيعية ويشب على الطاعة واحترام السلطة الأبوية وقواعد السلوك الصالحة التى تتكون فى فترة الطفولة والمثال الذى يتمسك به الأبوان من الإيمان بالله وطاعة أوامره هى الخطوة الأولى نحو تكامل الأسرة.